قمتان شعريتان نجفيتان

الجواهري و الوائلي

كلية التربية للعلوم الانسانية

٢٠١٧

الاستاذ الدكتور : صدام فهد الاسدي

قسم اللغة العربية

مقدمة البحث

منذ ان قال هرقليطس(هيهات ان يسبح الانسان في النهر مرتين)"١".بدا الفكر يرخي حبل غاربه على سفينة الزمن التي طوت المراحل المستمرة في حركتها ،وشكلت تناقضا فيما بينها ،موت وحياة،زهر وشوق ،شباب وشيخوخة، صحو وغيم،هكذا سمت الالفاظ تقترب من نظائرها لتعطي دلالات متغايرة.وظلت مظاهر الفكر الجدلي في الحضارة الاسلامية تتأثر بفلسفة هيجل في الالحاح على التبدل والتغير مع الزمن والجدل(نوعان جدل الفكر وهو الرياضيات التي تتسع في اتساقها وترتيبها ومعقوليتها عن نظام تلك المثل،وجدل القلب وهو ولع النفس بالصور الجميلة)"٢".

منهنا ينطلق هذا البحث ليستقرئ جدلية اكبر شاعر عند العرب بعد المتنبي وهو الجواهري ذلك الشاعر الذي يصبح(التسلسل الزمني امرا له شانه الكبير في منهجه وتتبع افكاره)"٣" حتى ظل الجواهري صوتا هادرا في اذان الحاكم والمحكومين على السواء انه غاضب ورافض ومهدد ولاعن "٤"

و الذي قاله الوائلي رحمة الله عليه :

فمحال ان تلبس الشمس ثوبا أو تصب البحار في أقداح ٥

وهكذا سرت قافلة أدباء النجف وما أكبرهم واصدقهم وهم يعيشون دوائر تحرسهم قبة خالدة لأمير المؤمنين(ع)وقد تفتقت مواهبهم عن عطاء ثر ،انهم مبدعون وقد أعطوا للأدب ما لا تنساه الأجيال ،وتعترف ساحة الأدب بأن لعلماء النجف وشعرائها حصة الاسد في مسيرة الأدب العربي عامة والعراقي خاصة على امتداد الأيام ، فبإمكانك ان تقدم الجواهري والوائلي وبحر العلوم وتتحدى بالثلاثة قارة كاملة ، واستمرت المسيرة الفكرية والأدبية ولا يتوقف العطاء النجفي ابدا .

وسوف اختار شاعرين كبيرين هما الجواهري والوائلي وقد وجدت فرقا كبيرا بين الشعراء الاوائل وهذين الشاعرين من حيث تلك الفضاءات حصرا ونستطيع القول بان الفن الشعري عندهما قد تحقق جدا في اختيار فضاءات مؤثرة بالمتلقي ،والشاعر الجواهري ١٩٩٨قدم ملحمة لا ينساها التاريخ وهي خالدة خلود الحسين(آمنت بالحسين)،وهي الق دري تفتح في سماوات أهل البيت فسجل الشاعر بها الى الحسين

المضحي الأول والسبب المتصل بين الارض والسماء ،وقد أدلى الجواهري بدلوه وما اروع هذا الدلو فكانت بحق ملحمة جواهرية خطت بماء الذهب قلادة على صدور الشيعة

قسمت هذه الدراسة الى مبحثين الاول يتكون من قسمين القسم الاول حياة الجواهري وتأثره بالشعراء السابقين

والقسم الثاني دراسة المحرقة قصيدة الجواهري .

وفي المبحث الثاني القسم الاول حياة الوائلي وشاعريته وتأثره بالشعراء السابقين له وفي القسم الثاني رثاء اهل البيت وفي القسم الثالث دراسة قصيدته في محراب العشق .

اتمنى ان ينال هذا بحثي توفيقاً من الله واشكر المتلقي ان وجد بعض الاغلاط فينبهني عليها

((وما توفيقي الا بالله))

الفصل الأول
القسم الأول : الجواهري / حياته وشاعريته

ولد في (٢٦ يوليو ١٨٩٩) وتوفي في (٢٧ يوليو ١٩٩٧) شاعر عراقي شهير، لقب بشاعر العرب الأكبر ولقد ولد في مدينة النجف في العراق، وكان أبوه عبد الحسين عالماً من علماء النجف، أراد لابنه أن يكون عالماً دينيا، لذلك ألبسه عباءة العلماء وعمامتهم وهو في سن العاشرة. وترجع اصول الجواهري إلى عائلة نجفية عريقة، نزلت في النجف منذ القرن الحادي عشر الهجري، وكان أفرادها يلقبون ب"النجفي" واكتسبت لقبها الحالي "الجواهري" نسبة إلى كتاب فقهي قيم ألفه أحد أجداد الأسرة وهو الشيخ محمد حسن النجفي، وأسماه "جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام " ويضم ٤٤ مجلداً، لقب بعدها ب"صاحب الجواهر"، ولقبت أسرته ب"آل الجواهري" ومنه جاء لقب الجواهري.٦
قرأ القرآن الكريم ولم يحفظه وهو في سن مبكرة ثم أرسله والده إلى مُدرّسين كبار ليعلموه الكتابة والقراءة والنحو والصرف والبلاغة والفقه. وخطط له والده وآخرون أن يحفظ في كل يوم خطبة من كتاب نهج البلاغة وقصيدة من ديوان الشاعر أبو الطيب المتنبي.
نظم الشعر في سن مبكرة وأظهر ميلاً منذ الطفولة إلى الأدب فأخذ يقرأ في كتاب البيان والتبيين ومقدمة ابن خلدون ودواوين الشعر، ولقد كان في أول حياته يرتدي لباس رجال الدين، واشترك في ثورة العشرين عام ١٩٢٠ ضد السلطات البريطانية، وصدر له ديوان "بين الشعور والعاطفة" عام ١٩٢٨م. وكانت مجموعته الشعرية الأولى قد أعدت منذ عام ١٩٢٤م لتُنشر تحت عنوان "خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح". ثم اشتغل مدة قصيرة في بلاط الملك فيصل الأول عندما تُوج ملكاً على العراق وكان لا يزال يرتدي العمامة، ثم ترك العمامة كما ترك الاشتغال في البلاط الملكي وراح يعمل في الصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة (الفرات) وجريدة (الانقلاب) ثم جريدة (الرأي العام) وانتخب عدة مرات رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين.٧

وهو القاتل في تمرده:

لو ان مقاليد الجماهير في يدي سلكت بأوطاني سبيل التمرد."٨"

وقبل ذلك لابد من التقديم عن تلك التأملات الرائعة التي ابتداها ابوتمام في جدليته فقف امامها منبهرين حين قال :

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذا ليست عليهم بسرمد."٩"

وحين يصف جملا يرعى في الفيافي يصور سمنته وضعفه معا ،فالسمنة نتيجة الراعي والضعف نتيجة الجهد الذي يبذله عند جوب القفار فكأنما رعته الفيافي بعد مارعى نبتها قائلا:

رعته الفيافي بعدما كان حقبة ليت شعر رعاها وماء الروض ينهل ساكبه."١٠"

واذا كان هذا الشاعر العبقري قد اطلع على الوان الفكر في عصره الذهبي (عصر العمالقة)فلا يفاجئنا ابدا بجدليته ولكن كيف استطاع شاعر حديث ان يأتي بتلكالجدلية الكبرى وهو الشاعر الذي يصبح شعره(فعلا دافعا الى فعل جديد)"١١" وهو يرصف على مساحة الايام قصائده الخالدة التي تنم عن ذلك الجدل بدا بتنويمه الجياع والنزغة اللتين اعلن فيهما ثوريته وتمرده حيث تعني الثورة لديه المواجهة الدائمة.

القسم الثاني : تحليل قصيدة المحرقة

والجواهري ديوان شعر عربي قديما وحديثا ،شاعر عباسي ولد خطا في العصر الحديث والجواهري (حقل بكر لم يطرقه الكتاب الاتحت ستار المناسبة)"١٢"،ولااتفق مع من يقول عنه(لم يبلغ الجواهري الاجادة في التعبير("١٣"،وكيف بي ان ادخل افاق هذا العباسي العصري الحديث وارى في قصائده(الجانب المشرق من الدهر)"١٤".

وفي رحلة البحث عن زمنية جواهريه يخاطر الباحث في قصائد استغرقت الزمن كله وهو يحمل الشكوى ليس خائفا بل (تهربا من المسؤولية)"١٥".

وما اكثر براكين الجواهري وفي معادلات تهز الضمائر وتحرك المشاعر (انها قصائد تتساقط وتنقرض على اثر القصائد الجديدة)"١٦"،وانك مهما بحثت عن الجواهري فلاتلمس الاالكثير الذائب في عموم متسع يبتعد عن وفاق فكري ضيق فلاحدود للشاعر الاالفحولة والعملقة تكشف ذاته المنفردة بالشعر ابدا ،ولن اتكئ عن التنظير والمسلمات ولن احدد للجواهري بداية ونهاية لأنه لايحدد فحسبي ان نقاد الامس ما انتبهوا والنقاد اليوم سوف يقولون ويتركون بستان الجواهري مليئا بالأزهار والاشواك.

فماذا نقول والجواهري يمثل (عمر العراق في دولته الحديثة بل يفوقها عمرا ويتجاوزها رمزا)"١٧" فكلما تلمس الباحث صرحا يسمى الجواهري فلإيكاد يقترب من عليانه ومما يزيدني عجبا ودهشة ان الشعراء يشغلون بالهم بالحديث عنه وعن سيرته الذاتية دون ان يواجهوا نصا ابداعيا من شعره مواجهة حقيقة حتى يستقر القول وتوضعالنقاط على الحروف وتلقم افواه المغرضين بحجر الكلماتالصارخة في عواصفه الثرة التي تفوح كالخاطر ضمن تجارب رافضة مصرح بها للعيان فهو القائل للجميع:

خذو بيدي هذا الغريب فانه لكل يد مدت اليه معادي"١٨".

حتى ان نبرته الاولى دالة على عرض ماتعانيه الذات من تناقضات الحياة وقد أظهرها بشك نبيل (لاينبغي ابدا ان تظهر نفوسكم وعاداتكم الصورة في مؤلفاتكم الافي صورها النبيلة)"١٩" والتي ترسم حقيقة يحملها ذلك الشعار الذي اطلقه باسكال (ان الحديث عن الذات مكروه)"٢٠". وربما تفوح رائحة البيت عن عداء فوضوي ومناجاة سالبة دون تساؤل عن مبرر تلك التجربة ورفعها من التسطيح الفكري الى النص الشعري فما زال الشاعر حزينا كقوافيه:

ولاتعجبوا ان القوافي حزينة فكل بلادي في ثياب حداد

فلاتذكروا عيشي فان براعتي ترفع عن تدوينه بمداد

امر من الملح الاجاج مواردي واوجع من شوك القتادة زادي

تقدمني من لست ارضى اصطحابه وطاولني من لم يكن بعدادي"٢١".

من هذه اللافتات يبدا الانكباب على قصيدة للجواهري استثمار طاقاته والكشف عن ابداعه في معطيات كثيرةيطول عندها الشرح والتحليل وحسبي ان (المتخصص في اللغة ومستوياتها الجمالية لايكتفي بالمعطيات لأنها امر عرضي لايمس جوهر الاداء اذا اكتفي بهذا المتخصص بالعرض دون الجوهر كما يصطلح اهل المنطق"٢٢".

وباستطاعتنا القول ان الجواهري استطاع ان يجمع بين ظاهرة التمرد والفن كما اشار الدكتور علوان (استطاع الجواهري ان يجمع بين عنف الاحداث وجمالية الفن("٢٣".

واذ يقسم القصيدة بين (ت.س .اليوت) في بر وفروك التي يتساءل فيها (اجرا على ان اقلق الكون)"٢٤"،والمتنبي الذي يشبه يده التي عادت في كل ماامات صفرا)"٢٥".من هنا بدا باحثا عن ضالتي في قصيدتين مهمتين كتبهما الجواهري الاولى ١٩٣١ في ازمة نفسية حادة على اثر ظروف خاصة عنيفة وملابسات سياسية كاملة وقد نشرت في جريدة العراق (٢٦).

ومادام النص منهاج الناقد في الدراسة والتحليل فدعوني ابدا كما اريد دون تسميات لمنهج محدد وربما اخرج بدراسة نافعة فالحكم لايعطي سلفا ...ومادام الشاعر يعترف في حاشية يضعها للمحرقة فيقول (انه نظمها في ازمة نفسية حادة على اثر ظروف خاصة عنيفة وملابسات سياسية وهو بها يخرج من ثوب التقليد الموروث المعبر عن حال الزمان الخطير وصرفه المتغير.

١- القراءة الاولى /المستهل الشعري:

تتكون القصيدة من ٦٤ بيتا على حرف روي مجهور (الراء) تقف على ملمح تكويني نوعي ينطلق من خلق شعري خاص في مجال الاستعمال اللغوي والملمح المعين مقصور على الكلام والبحث يدرس نصا رائدا كاملا من نصوص الجواهري التي تبرهن على صياغة اللغة وبناء صور اسلوبية من مادة لغوية تصل المتلقي بناءا اسلوبيا لأفكار مادام الشعر بناء علاقات لغوية بممارسات اسلوبية(٢٧).

ولااجد موازنة بين الشاعر الجواهري والذي يكتب المقال والخطيب والباحث ومؤلف الكتاب فالأول لاينقل الافكار كالتابعين بل يشطر الكلمات الى دلالات ولايصب مفرداته في مجرى محدد كما يفعلون بل يهيم في واد خاص به وهو ينفرد بخصوصية الابتعاد عن الابيات الشاردة اليسيرة التي يقدمها الرجال بين يديه خاصة كما يرى الجاحظ"٢٨".

حتى تخصص ملامح قصيدته برسوم وطرائق ايحائية خالصة تشكل سنة شعرية عبر عنها صاحب كتاب الشعر والشعراء بانها (رسوم لاغنى للشاعر المحدث عنها)"٢٩".

لذلك سوف اخترق منهج التحليل لارصد الائتلاف العميق لمكونات اسلوبية بينها الجواهري ضمن علاقات بنيوية ترصف تلك الاطر الموروثة التي رفعها النقد محكمات ومسلمات ولكن ابداع الشاعر ضمنا خارجا عن تلك الاطر المحصورة بالموروث ضمن خط افقي يهتم بالبيت واستقلاله فاطلقوا عليه التضمين اي التمادي الراسي كما اراد العمدة(٣٠).

والقصيدة تؤكد على ذلك الموروث العتيد وهو الشكوى بأداء شعري ايحائي خالص يبدا بالقرار النهائي الذي يبثه الشاعر ليس عاجزا بل متواضعا في خرق تلك الخطوط والجدران قائلا:

احاول خرقا في الحياة فما اجرا واسف ان امضي ولم ابق لي ذكرا."٣١"

وهذه الصورة الذاتية لو وضعناها قبل اي بيت في قلب الابيات المتبقية لما وجدنا اختلافا في دلالات افكاره وتالف صورة وهو يبدا غمار تجربة محرقيه نادرة ،ولعلنا نرى المدخل حياديا لايبوح بقدرة انشائية كما يبدا اي خطاب بالاستهلال (متى دربت على هذا النظام الخاص الفه وتوقعته في اثناء سماعها)"٣٢"

وتحديدا فان الجواهري صاحب مستهل اينما قرات له قصيدة يعطيك نهايتها بمفتاحها (انه يتأمل في مدخله تلك البيوت فيجد لها تسورا واركانا واقطارا واعمدة ويبدو الشكل اللاحق للقصيدة متماثلا في جسد القصيدة "٣٣" وكان

القصيدةبيت واحد حتى اطلق جزافا بان هذا النص نص جاهلي يأخذ الصورة التماثلية للمحكى الشفاهي بتلاحق قادم بين المسموع والمرئي حيث نقل الشاعر اختراقه الفعلي الحركي الى عملية تبث الجهد حين قال :

(ويؤلمني فرط افتكاري)"٣٤" متكا على الفكر وماقال الفعل والقوة لان الفكر عند الجواهري فضاء واسع متناه مظلم يكاد يؤدي به الى العجز لولا قوته وتحديه. تلك القوة التي يعرف وزنها بفردية مكافحة يحسب سنينها (مضت حجج عشر)"٣٥" لايحمل من ورائها الاالغليظ السيلي العنيف الذي سد مجراه وهكذا ينقل الجواهري البنية الطبيعية (السيل) من بنية طبيعية عند شاعر الامس الى بنية وضعية طوبولوجية منسلخة)"٣٦".

وهنا يبث الجواهري علاقات صورية لاتحدد بصورة سمعية (اسمعت)"٣٧"ولابصرية (ابصرت ما اهوى) ولا فكرية (اخبرتها) وانما يؤكد علاقات تتشظى في عدة علائق وجملة انساق تكوناستهلالا مضمونيا تقدميا لامعا كانه يقول قولته في خمس ابيات ولكن ليس هذا كافيا لامتداد بنيوية نصه بل تزداد فيضا من علاقات شعرية كلها تبدا وتنطلق من هذا المضمون التقدمي المتعلق في انشائيات واساليب مشحونة بالدفاع عن النفس (مضت ،خبرت،ابصرت،ابقت البلوى. تأمل الى عيني ،الم تراني)في ابيات ثمانية يكاد الشاعر يوجز لك ثمان قصائد في ابيات قليلة كلها تقدم مفتاحية النص وتكشف عن معرفة نزعة النص البنائية وعرفة احساسات الشاعر مع العثور على جوهر التعبير الذي هو عماد التكوين وفاعلية المقدمة"٣٨".

القراءة الثانية (المرجع التكويني الداخلي).

ان النص يدل على حالة خاصة بالشاعر يريد منه ان يوجه الانتباه الى العالم "٣٩"فالجواهري يترك امامنا رؤى متعددة من عالمه النجفي القائم على موروث وارتباطات ومميزات بيئية صرفة ،فهو يأسف ان يذهب عن الارض دون ان يجلب نفعا وهنا يبدا بالمصدر الرفدي الاول والقران مستذكرا سورتين عميقتين كبيرتين ،بالدلالة قال تعالى في سورة سبا (فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا)"٤٠".

وفي سورة طه (الايرجع اليهم قولا ولايملك لهم ضرا ولانفعا)"٤١ ثم يرجع الى بيئته موهبته من اولئك الذي يلبسون الثياب لستر عوراتهم ويظهرون التفاهات في نزوع نفسي لاخلاص منه وكان الشاعر يريد حالة انسحاب المحيط العام الى المحيط الخاص من الضمير العام الى الضمير الخاص من خلال تلاحقات زمنية.

وفي المنحى الاخر جاء معجمه زاخر بألفاظ مفردة فالناس والدهر والحياة والصبر والشطر والصدر والنفس كلها تتكرر بموازنات فردية من ثلاث الى ثمان مرات ،وكانت الاساليب متنوعة كالاستفهام الاخباري ،امثال (كم من اصيد)والتشبيه(كأنها من الغليظ) والتوكيد(قد صبرت على الاذى) والاستفهام الحقيقي(الم ترني) والنفي (ليس بحر) والبدل(شربت على الحالتين بؤسا ونعمة) والشرط(ان تلعب الشكوى)والامر (هب انه) والترجي (لعلي ارى شبرا) والاستثناء (ماميزته عن سواه فوارق) والتعجب القياسي (اوحش بالذي صحب الصبرا).

اما المنحى الاخر فقد جاء مركزا على الجمهور والجهر لغة الشعراء في حالة الانفعال والتوتر في ابيات القصيدة وحرف رويها الراء(خرق ،اجر،ذكر،الحر،مضطر) والهمس الذي يدل على لغة التأمل والتفكير التي تكشف عن جوانب الخطاب وهو العنصر الاخلاق للغة)"٤٢".

ومن خواص الفرد فالأسلوب هو الرجل فقد جاء متنوعا دالا على سياقات بلاغية منها علم المعاني الذي يتوقف مفهومها الخبر والانشاء كثيرا في مرجعيات النص وقدد الاسلوب الانشائي كقوله (وهل غير هذا ترجي) وكلنا نعلم بان

الاستفهام اسلوب انشائي لكن السياق لايفضي الى جعل الاستفهام حقيقيا بل يحمله دلالة الخبر لان الشاعر يتحدث عن قيمة مفقودة حاليا وستكون حاصلة غدا وكذلك قوله (الم ترني) (اتعرف كم من اصيد) وثمة اخبار انكارية بمؤكد او مؤكدين (اقول اضطرارا قد صبرت على ..انني) والخبر الطلبي كل مؤكد في جملة (وغطيت نفسا انما خلقت نسرا)(وليس بحر من اذا رام غاية) وكما نرى التوكيد منفردا ،ان هذا الهيكل البنائي قام على مقدمة ومستهل يبتعد عن النمطية السالفة ويدلل على صورة تعبيرية عند الجواهري.

وثمة اشارات استجدت في ذلك السياق العضوي الذي انفرد به الشاعر فان القصيدة متكونة من (٦٤) بيتا جاء عنوانها في البيت الثاني والثلاثين في قوله:

(وكنت متى اغضب على الدهر ارتجل محرقة الابيات قاذفة جمرا)"٤٣"

ولابد من ذكر المنحى البلاغي الاخر وهو الاستعارة فان التشخيص والتجسيم اتخذا طابعا عميقا عند الشاعر في تلك القصيدة.

وقد استخدم في بث صورة بعض الافعال التي تحمل دلالة الارتقاء والحركة المتنامية مستعينا بالتجسيم الذي تتسع عنده الفجوة قائلا (مشى الدهر نحوي مستثيرا خطوبه)فالفجوة تبرز واضحة في الفعل مشى من حركة الانسان واعطائه استعارة الى الدهر فالشاعر يحمل رؤيا يكسبها للطبيعة من خلال اشجانه وفي صورة اخرى (استرجع الدهر حلوة)واخرى (تلهب الشكوى).

ولم يبتعد الجانب الصرفي في لغة القصيدة فالتصغير (خويدم) (وكان شكسبير خويدم شعره) والمجموع المتنوعة (حجج فعل)واعوان (افعال) وندمان (فعلان) واقوام (افعال) واكلات فاعلات ،واكوان افعال) ولم تغب الاعداد عن النص (حجج عشر)و(الركبتان)و(ساعة)و(احدى يدية)(وكفي) (حرة) والباغون دلالة الجمع اما الرمز فكان ملمحا دلاليا مثيرا في بناء هذا النص وقد حاول الشاعر ان يخبئه وراء ضبابية المعاني المباشرة مثال ذلك

(كشأن زياد حين احرج صدره وضويق حتى قال خطبته البترا)"٤٤"

وقوله:

(ومازلت ذاك المرء يوسع دهره وأوضاعه والناس كلهم كفرا)"٤٥"

اشارة رمزية الى شخصية الشاعر وقد بدا للناضر في الابيات اقصاء هادف رمز به الشاعر الى شيء مفقود يكشفه المتذوق ولا ينسى رمزا اشار به الى ذاته (النسر) ونلحظ ذلك التوحد في رمز النسر وشخصية الشاعر الذي لم يتخذ غير الذرى منزلا وهذه الرموز الجزئية كلها تتخذ طابعا بلاغيا من بني الاستعارة والكناية والمجازات وتكون علاقة تعبيرية تعطي موقعا مميزا للشاعر .

وقد يعطي المتمعن الى لونيات النص فقد جاءت معتمة فالدم احمر (وحشا والغا في دم نمرا)والجمر احمر(قاذفة جمرا) وهكذا تجمعت اقطاب تعبيرية متنوعة تفضي عن سياقات ظاهرة ومعتمة كلها تبرهن على قوة وقدرة الشاعر بالإخفاء والمباشرة وهكذا حال الشاعر الذي لا يعطيك نفسه بسهولة .اما النهاية التي ينتظرها القارئ وكي لا يصاب بالخيبة فكانت نهاية متوقعة انها تلبي انتظار القارئ دون خلخلة في افتراضات فقد افصح عن حقيقة لابد من توقعها يعلم بالإكراه رسمها مقررا رؤيته المباشرة (وهذا الذي احدى يديه بجيبه) (وهذا المصفر وجها) (وهذا الذي قد فخمته شهادة)تلك الكنايات تكون بنية بلاغية تسعف الذي وظفه بأمثلة واقعة دلالة المعنى ناتجة عن علاقات غيابية تستدعيها علاقات الرمز والإيحاء.

وقد ظهرت تلك التقابلات كثيرا في القصيدة ضمن مستوى المفردة والبيت ولكن تلك التقابلات بما فيها من رؤى وشطحات لا تعطينا الدلالة الكافية لان الدلالة مرتبة بوحدة القصيدة التي يعدها ريفاتير (الملمح الاساسي لكل قصيدة)"٤٦"في تلك التقابلات المحورية (حلب وشطر)(الوجه الثغر)(الظفر والناب) (والمرتبية) (ابصرت،سمعت) والمتناقضة (عاش مات) (سرا جهرا) (بؤس نعمة) (شيماء حسناء شيمة نكرا).

ووقفت الكنايات على محور التجاور والتراصف في اثبات معنى من المعاني دون ذكره بلفظ (لباس الثعلبيين) كناية عن المكر ومللك قارون الغنى والبطر وحاملا وجها اصفر ا(النمام)وأعجب الناس قوله (المخادع وفخمته شهادة المثقف الجاهل وهكذا تتداعى الصور لديه وهي متنوعة مفردة (مضت حجج كأنها السد) (خلفت الشحناء في كبدي نغرا) ومركبة (مشى كعادات المخانيث دارعا ينازل قرنا..) (تفتر سني الاكلات) (قطعت كفي من يمد يمينه) والصور التمثيلية (هذا الذي فاتح مصرا).

القراءة الثالثة:المرجع البنائي للشخوص والأسلوب.

لا تخرج مهما حللنا تلك القصيدة بنهاية لأنها قصيدة صعبة المراس غير هينة التحليل ولكنا نصل بقراءتنا الثالثة الى مرجع بنائي يرسم الشخوص سبيلا ضمن صفات معروفة (الصاحب ينظر شزرا ،الثعالب تغدر وهي العداء ،المخانيث ،الاعوان ،الندمان)ثم الشخوص الماضية سندا (زياد،المتنبي ،قارون)وهي رموز ادبية تاريخية ورموز نفسية (اصفر الوجه،خادع الناس) ورموز طبيعية جامدة (سيل وكوكب) (وقبر وشبر) ورموز طبيعية متحركة (حمام،نسر،صقر).

وتركز القصيدة على مكونين بنيويين من الماضي والحاضر وان كل مكون يشكل حركة من حركات القصيدة فلماذا جاء الماضي كثيرا (وهو يحمل دلالة الشموخ والارتقاء دون
التخاذل(لبست،مسحت،عدت،حلبت،شربت،حبيت،جوزيت،كنت،شجعت،مجدت،مزقت،تطوعت،عاتبت،ذممت).(لعلي ارى شبرا من الغدر خاليا كفاني اضطهادا انني طالب شبر) "٤٧".

وهكذا تنتهي القصيدة وقبلها يحمل غايته ورمزية قصيدته:

ذممت مقامي في العراق وعلني متى اعتزم مسراي ان احمد المسرا"٤٨"

فقد اخبر الناس بغربته ورحيله وسر عذاباته وتمرده فان المقام لا يطيب في وطن يذبح شاعره ومبدعه .وهكذا افصح النص الشعري بوصفه لغة او فنا لغويا يحمل انواعا من الاشارات وهي ثلاثة (الدلالة والايقون والرمز) وهذه كلها ترتبط بالنص في عملية تزامن متضادة او متحاورة "٤٩".

وهكذا اجتمعت الاستعارات والكنايات والرموز والإشارات وجعلت النص الجواهري كلمات تروى كما تسمع وتفهم مكونة صورة كلية لنص واحد يسمى قصيدة كاملة وبعد هل يوجد في هذا النص حدب وغبار وشوك...انها بركان جواهري يجبل النفوس النائمة لتصحو من نوم الغفلة ورقدة الجهالة انها كلمات تحدو الى اتجاه افق اوسع يسير الى فكر يكشفه الشاعر بدلالة هيئة باحثة عن وعي وشخصية نابشة في المستحيل.

الفصل الثاني : الشيخ احمد الوائلي

القسم الأول : حياته وشاعريته

ولد احمد الوائلي في النجف الاشرف نشأة صالحة فاضلة عاش فيها موفور الكرامة شديد الاعتداد بشخصيته ، متفوقا على اقرانه معتزا بشخصيته الفذة يسودها الهدوء و الطموح نحو الخطابة و التفوق العلمي و خاض التجارب في هذه النشأة و حاكته الظروف العصيبة بالهموم و الغموم فباشرها بصمود هادئ بعيدا عن التهريج و الضوضاء)) ٥٠

((و للحضارة النجفية اثر كبير في نبوغه كونه خريج مدرستها الكثير عن التي هي اقدم مدرسة للأدب العربي تلك المدرسة التي مشى لها الركب من جزيرة العرب الى الحيرة و منها الى الكوفة و منها الى النجف و ما برحت النجف مورد اعتزاز الوائلي و فخره :

نجفي يا جميلة في الفيافي و ربيعا يهتز وسط محول
و ترابا مغبراً لست ارضى عن حصاه نجم السما ببديل
يا مغاني العلا و يا مهبط الفكر و محراب نابغات العقول
يا مهادي الوثير يوم قدومي و وسادا ارجوه يوم رحيلي)) ٥١

جهاده :

((لقد جاهد شيخنا من اجل مصلحة الاسلام و فكر ال محمد (ص) جهادا عظيما لقد عمل على بناء الاسلام و بناء دولة اسلامية موحدة رغم اختلاف المذاهب و القوميات من منطلقات دينية اسلامية ، لقد كان من خصائص افكاره و توجهه و مواقفه الى حل القضايا الملحة مثل ، الديموقراطية ، و المشاركة السياسية و القضايا الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية بسبب التحولات العميقة التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية هذه الحالة التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية ، هذه الحالة التي تتطلب الجهاد من اجل العمل و توظيف الامكانات من اجل جمع الشمل ، لقد جاهد شيخنا من خلال الاسناد الى القران و السنة و العقل و العقيدة و الايمان من اجل مواجهة الاختلافات و الاحقاد و احترام الرأي و عدم الهجوم على القيم و العقيدة و الاشخاص ، و كان يأخذ من الشافعية و الحنبلية ... الخ ، و نظرا الى مواقف و مشاكل كثيرة و كبيرة و العمل على التوفيق فيما بينهم فما هو قديم و جديد مستمر))٥٢ .

((ففي السادسة من عمره درس لدى الكتاتيب ، و حفظ القران الكريم و كان ذلك في مسجد الشيخ علي في سفح جبل الطمة في محلة العمارة و بعد تعلمه القراءة و الكتابة بدأ دراسته بالشكل الاكاديمي الرسمي ، بالإضافة الى دراسته الحوزوية فجمع بذلك الفضيلتين ، و استفاد من التجربتين ففي الدراسة الاكاديمية انهى الدراسة الابتدائية بمدرسة الملك غازي في النجف الاشرف عام ١٩٥٢م ثم دخل متوسطة منتدى النشر و تخرج منها بتفوق ، و من اقرانه في هذه المرحلة صادق القاموسي ، و محمد حسن ال ياسين ، و احمد المظفر و عند تأسيس كلية الفقه عام ١٩٥٨م انتسب اليها و تخرج منها عام ١٩٦٢م بحصوله على شهادة البكالوريوس باللغة العربية و العلوم الاسلامية ثم دخل و اكمل مرحلة الماجستير في نفس الاختصاص في معهد الدراسات العليا التابع لجامعه بغداد و كانت رسالته بعنوان (احكام السجون) ثم تابع دراسته في مصر حيث درس في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة و نال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨م عن اطروحته الموسومة (استغلال الاجير و موقف الاسلام منه))٥٣

((فزادت الحاجة اليه انه ذو شخصية و خصائص متميزة عن غيره و تبعا لذلك بانه اقل المنزلة الاجتماعية الخاصة و انه عاش في صميم هموم المجتمع و الفرد و مشكلاته و توحيد كلمة الصف الاسلامي في هذه الامة .
و انه كان محط اعجاب الجميع و ارتفاع منزلته بين الناس في العراق و الوطن العربي و العالم الاسلامي .
لقد عمل على ابراز الهوية الثقافية الاسلامية ضمن سلسلة طويلة من السنوات و من المحاضرات العلمية و الاسلامية من خلال عملية تفضيله للدراسات الفقهية و العلمية و الاجتماعية و الدينية و الاقتصادية بسبب ما يفقده ابناء الامة من معالم الهوية ، و بسبب تعرضها للاعتداءات الخارجية الحاقدة و عمل الدكتور احمد الوائلي على ترسيخ مباديء العقيدة و الايمان على مستوى الافراد و الجماعات لقد عمل على استعراض معنى الاجتهاد و مراحل تطوره منذ عهد الرسول محمد (ص) الى يومنا هذا و عمل على ابراز شخصيات ال البيت (ع) بصورة علمية فنية صادقة من خلال البحث العلمي))٥٤ .

شخصيته :
ان قوة الشخصية شرط اساسي للنجاح بالحياة و خاصة العملية و ان المؤهلات العلمية التي يحملها الشيخ الدكتور احمد الوائلي لا تكفي لان تكون شخصية الانسان ، و اذا جئنا لشخصية شيخنا الجليل لوجدناها متمثلة و مجتمعة على امور كثيرة ملموسة في شخصيته الكبيرة لانه يقول ما يعتقد و لا يكذب .
و هو صاحب صوت جوهري ، ذكي حاضر البديهة ، حسن البصيرة واسع الفكر ، صافي الذهن صادق الاحساس ، و ان شخصيته العظيمة هي مجموعة كل الصفات الطيبة و الحسنة و المزايا الذتية الفاضلة .
هنا نقول هل شخصيته شخصية بالفطرة ام مكتسبة ، و ان شخصية الانسان قد توهب بالفطرة و قد تكون مكتسبة ، الا اننا نقول بان شخصية الوائلي (احمد) شخصية فطرية مع ما أكتسبة من كافة العلوم الاسلامية و الاجتماعية و التاريخية ، و لقد اثبت علم النفس ان قوة الشخصية شرط اساسي للنجاح في الحياة و عليه فان من كثر علمه و ادبه و ثقافته كثر شرفه و طار صيته .
مؤلفاته :
((جاءت كتابات الشيخ الوائلي لتكمل العطاء الفكري المتأطر في حياته و في محاضراته السديدة فلعل محاضراته لم تكن تتسع في وقتها و مكانها للافصاح عنها و اعطاء البيانات واضحة جلية لتحقيق الفائدة و من يطلع على كتاباته فانه يجد نفسه امام فكر مميز بثقافة في اظهار التداخل و التجاذب ما بين العلوم عبر استخدامه في مباحثه بما فيها علم الاقتصاد و علم الاجتماع الديني و التاريخ الثقافي و دراسة نظرية العلم و الحضارات و الاديان في العالم)) ٥٥
موضحا انفتاحه الانساني على قضايا العصر ، و لعل اهم اثاره الكريمة :

- احكام السجون بين الشريعة و القانون : و هو البحث الذي قدمه الشيخ الوائلي لنيل شهادة الماجستير في جامعة بغداد .
- استغلال الاجير و موقف الاسلام منه :

- و هي الاطروحة الت قدمها الشيخ الوائلي في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في مصر لنيل الدكتوراه .
- هوية التشيع تجاربي مع المنبر الاولويات في حياة الامام علي (عليه السلام) .

و لعل الكثير من اثار الدكتور الشيخ الوائلي (رحمه الله) اكثر مما ذكر و ما هو معروف)) .٥٦

الوائلي .. اديبا و شاعرا

قدم الوائلي رحمه الله نماذج رائعة من الادب سواءا كان شعرا او نثرا او خطابا ، فلن تجد في ادبه التعبيري الانشائي ما يدل على افتقاره ، بل كانت العبارة غاية في الروعة و المتانة و الرقة و السمو ، لن يجد القاريء ما يعيقه عن فهم المضامين التي تحدث عنها (رحمه الله) في كل مؤلفاته فضلا عما يجده من ديمومة المتعة في الاسلوب الذي يأخذ به غالبا الى رحلة ممتعة مع ما يطرحه من افكار و قيم ، تحدث قلب القاريء قبل ذهنه ، فبلاغة التعبير و حرارة الصدق في الطرح و متانة الاسلوب من مميزات نثر الوائلي الذي لا يخفى على كل ذي لب و قاريء فطن ، حتى و ان لم تكن له تجربة الابحار في مرافيء الادب .

و اما في بيان الخطابة فلا اعتقد بان هناك من يجحد حقه ، فهو الخطيب المفوه الذي خبر لغته فاجاد ، و لن يترك في بعض خطبه الا ما هو قمة في السجع و الوصف المحبب الجميل ، فيشد بحلاوة تعبير ذهن السامع و يفعل عاطفته بحرارة عالية على اشهر الاجراس الموسيقية في اللفظ الذي ينتقيه الوائلي (رحمه الله) انتقاء منسجما مع طبيعة الحدث ، فيترك اشهره البالغ . فمن خطبة له يقول فيها واصفا الامام الحسين (عليه السلام) و ثورته :

(الحسين – عليه السلام سيف ينتضى عند الخطوب ، و لواء ينشر اذا استبد الطغيان و اهدرت الكرامات) . و اخرى (ان شلو الحسين الذي فرقته الرماح ، ماذى نفوس العظماء بقدر ما اذاهم تمزيق مضمون الحسين ، فالأجساد خلقت لتموت و فاتهم ان المضمون لا يموت و لا يقتل) .

و ثالثة :

(وقف الحسين ليلحظ دماء للمسلمين قد اريقت ، و اعراضا انتهكت و كرامة سحقت) .

اما الشعر : فالوائلي شاعر مرهف الحس و الروح ، ذكي الفؤاد نقي الروح معتدل الذهن ، ياخذ المتلقي حرارة شعره الصادقة و كلماته الهادفة المعبرة ، و قد وهبه الله صوتا جهوريا يلهب العاطفة و يطرب النفوس و لن يخرج الوائلي (رحمه الله) عن طور و اسلوب كبار شعراء مدينة النجف و هي المدينة التي حضنته ولادة و طفلا و صبيا و شابا و شيخا فاخذ يحب الشعر منذ بواكير عمره ، لما كان لهذه المدينة من اثر في بلورة قابلياته ، فكان محيطه خصبا لنظم الشعر و مما ساعده اندفاعه و احتكاكه بأدباء النجف آنذاك و قراءته بشغف لاشعارهم و منهم محمد مهدي الجواهري ، و محمد جواد الشبيبي ، و محمد رضا الشبيبي ، و عبد الرزاق محيي الدين ، و لمعاصريه ايضا من خارج النجف امثال احمد شوقي و حافظ ابراهيم و معروف الرصافي و جميل صدقي الزهاوي ، و محمد سليمان الاحمد – بدوي الجبل .

كما كانت قراءته لأدباء متقدمين كالمتنبي و البحتري و مهيار الديلمي و ابن حويس و الدمشقي و الفرزدق و جرير و الكميت و دعبل الخزاعي و الشريف الرضي ، كما قرا الترجمات المتوفرة لأشعار محمد الخيام و سعدي الشيرازي .....
فكان لتاثره بمحيط النجف و بيئتها و الوسط الادبي اثر بليغ في ابراز الفكرة و العاطفة المتدفقة في شعره ، حيث عاش الوائلي احداث عصره الاجتماعية و السياسية برفاهة عالية في الحس و اشتهرت بعض اشعاره بين طبقات الشعب و تتابعت روائعه تروى بين طلاب الادب و عشاق الشعر

القسم الثاني : رثاء اهل البيت (عليهم السلام)

للوائلي علامة خاصة باهل البيت (عليهم السلام) يترجمها في عشقه امير المؤمنين (ع) الذي يرثيه بقصيدة عنوانها (مع النفس) تطفح فيها كل المشاعر و الاحاسيس و تالم الشوق لديه ، فيقول في بدايتها مخاطبا نفسه طالبا منها الاضافة في الحديث عند امير المؤمنين (ع) مع نزول الليل :

افيضي فبرد الليل مثل حواشيه و عبي فؤادي الكرم راقت دواليه

و فيه يطيل الكلام مع نفسه ، ثم يعرج مقارنا بين نقيضين (الحاكم العادل الهادي الذي يهت بجياع شعبه و الحاكم الغارق في اللهو المترنح بين الكأس و صدور الغانيات فيقول :

اطل على الجمل الهدى مشعلا لشعب تمادى في الظلال دواجيه
رأى ان شعب المسلمين تلفه حوالك من ليل الفساد و داجيه
ففي الشعب ارهاق و في المال اثرة و في الحكم ارهاب و في الدين ما فيه[٥٧]

ثم يذكر في الطرف الثاني:

بيوت تبناها النعيم فاترعت مقاصرها لهوا على الغيد تضفيه
تغابقها في الكأس كف خريدة تجر موشاة الغلائل من فيه
اذا رنحته الكأس كان وساءة صدور الغواني و السواعد تحويه
على حين لاح البؤس ينشب مخلبا بعاري جسوم البائسين و يغريه[٥٨]

لا يستطيع الوائلي السيطرة على حسراته التي انفلتت بعد هذه المقارنة ليبوح بها دمعا و المأساة حسرة :

ابا حسن و الليل مرخ سدوله و انت لوجه الله عان تناجيه
و غالتك كف الرجس فانفجع الهدى و هدت من الدين الحنيف رواسيه
ابا حسن من روحك الطهر هب لنا شعاعا فركب الشعب ظل يهاويه[٥٩]

فهو يرثيه رثاء يجعل منه المثل الاسمى للحاكم الذي يعي ما عليه من حقوق الشعب بخلاف الذين تاجروا باموال الشعب و سكنوا القصور و على الرغم من كل هذا انهى امير المؤمنين (عليه السلام) حياته و هو يلهج بذكر الله متوجها غارقا في ذات الله ، و هذه نهاية كل حر محرر للنفوس كما يقول :

حنانك حرر في هداك نفوسنا فانت ابو الاحرار حين نناديه[٦٠]

و في قصيدة اخرى في رثاء الزهراء (عليها السلام) يقف فيها موقف استعظام و اكرام للسيدة الزهراء و ما لها من فضل على شيعتها و معزيها تلك السيدة التي عانت من الظلم و الجور بعد استشهاد و الدها رسول الله (ص) فيطرح الشاعر عظمتها من خلال بيت التساؤل عن ابوها و بعلها و بنوها ، ناهيك عن انتمائها فهي تنتمي الى افق الله فهذا الانتماء تستغني به عن الانتماء الى اي جهة اخرى لعظمته و نجاعته فيقول :

كيف يدنو الى حشاي الداء و بقلبي الصديقة الزهراء
من ابوها و بعلها و بنوها صفوة ما لمثلهم قرناء
افق ينتمي الى افق الله و ناهيك ذلك الانتماء
و كيان بناه احمد خلقا و رعته خديجة الغراء
و علي ضجيعه يا لروح صنعته و باركته السماء[٦١]

ثم يتطرق الشاعر الى ما واجهوه ال البيت (ع) من بعد استشهاد الرسول (ص) فنراه ايضا يقف موقف المتسائل المتعجب لقوم نكروا نعمة الرسول (ص) عليهم حيث جازوه بنصب العداء و البغضاء لال البيت فيقول :

أ اضيعت الاء احمد فيهم و ضلال ان تجعد الالاء
او لم يعلموا بانك حب الـ مصطفى حين تحفظ الاباء

و يقول ايضا مخاطبا الذي هضم الزهراء البتول قائلا :

ايها الموسع البتولة هضما ويكما هكذا يكون الوفاء[٦٢]

ثم يقول الشاعر في القسم الثالث من القصيدة من بعد ما كان مخاطبا الاعداء الى خطاب الزهراء فهو معزي لها بمصابها و مهوننا عليها بما اصابها من شدد و مصائب فيقول :

نهنهي يا بنة النبي عن الوجـ د فلا برحت بك البرحاء
و اريحي عينا و ان اذبلتها دمعة عند جفنها خرساء

و يقول :

و تناسى ذلك الجنين المدمى و ان استوحشت له الاحشاء[٦٣]

اما في الجزء الاخر فينتقل الى بيان حالة الزهراء فنحن نرى ان الشاعر جعل و كانها بيان سيرة حياة الزهراء ، استطاع الشاعر ان يجسدها في قصيدة لامعة في طريقة مستطردة .

حيث ان الزهراء (ع) تلك السيدة التي لا تفارقها الاه و اللوعة و البكاء و هي فوق الفراش بسبب الحادثة التي وقعت و راء ذلك الباب الذي ادى بحياة الزهراء (ع) و جنينها الى الهلاك .

فيصورها بانها كالغصن جف عنه الماء حيث يقول :

في حشايا الظلام في مفرع الزهـ راء اه و لوعة و بكاء
و هي فوق الفراش من الاسقام كالغصن جف عنه الماء

و يقول في موضع اخر بان الزهراء كانت تفضل الموت على هذا العذاب :

فاستجارت بالموت و الموت للدو ح التي ادها العذاب شفاء

ثم يصور الشاعر ساعة الوداع حيث ان الزهراء قد حان موتها فهي توصي علي (ع) بابنائها ابنين و ابنتين و توصيه ايضا عن مراسيم دفنها .

و بدت على شفاههها همهمات لعلي في بعضها ايصاء

بيتيمين و ابنتين ويا اللــه ام بنبض بقلبها الابناء[٦٤]

و بعد ذلك يصور لنا في مشهد حزين يشحنه الشاعر بكل عاطفة حارقة لغرض البكاء . حيث الزهراء (ع) فارقت روحها الحياة و علي و اولادها (عليهم السلام) منحنين عليها باكين فيا له من مشهد متحرك و حزين .

و في قصيدة (شموع الطف) فنجد الشاعر يشبه شهداء الطف بانهم موع طوال الليل مشعلة تضيء له دربه :

فهم اشبه بالإخلاء الذين لا يفارقونه طوال الليل فما رأيت سوى الدماء الطاهرة التي سالت على ارض كربلاء المقدسة و يرجح الدم السائل على السيف .

و ان هذا الدم بقى اشبه بالملحمة على مر العصور لا يستطيع احد ان يمحو ذكره فهو الدم الذي سال من الاوداج التي قطعتها السيوف يوم الطف فيقول :

تسامرني و الكائنات هجوع بدنياك في قلب الظلام شموع

سهرت عليها الليل استلهم الرؤى فالهمني مما وهبت فجيع

نجيع مشى عبر القرون بخصبه فلا دهر الا من حباه ربيع

و غرد يروي للزمان ملاحما به ودج تحت الشفار قطيع[٦٥]

نرى ان الوائلي في هذه القصيدة لم يحشد ابياته للحزن و البكاء و انما جاء مبرهنا لانتصار المظلوم على الظالم في انتصار دم الحسين (ع) على السيف ، و كيف لا و هو دم سبط النبي و نسل السلالة النبوية فيقول :

ابا النفر الغر الذين وجوههم شموس لها عند القتام طلوع

هو من جذور الانبياء وشائج ومن شجرات الاوصياء فروع

و يقول :

و كم بالقصور الشامخات مقابر تعيش بها للميتين جموع

و رب حياة بالقبور كريمة يجسدها شلو هناك صريع

و كذلك نرى الشاعر يصف حياة شهداء الطف بالابدية و بقاهم السامي في القلوب فيقول :

و شتان بين الصرح تبنيه صخرة و اخر تبنيه حشا و ضلوع

فللمجد صرح انت سر خلوده تطيح الصروح الشم و هو منيع[٦٧]

و يحمل الوائلي قصيدته بيتين اشبه بالحكمة فيقول :

و من ظن ان الفاس يعمل وحده بصرح بناه الله فهو رفيع

اذا ما هوى تحت المعاول حائط فهيهات يهوي بالنفوس ولوع[٦٨]

فهو ينبغي زوال صرح الولع و الحب لشهيد قدم للانسانية كل ما يملك لان هذا الصرح متين البناء .

و في رثاءه علي الاكبر (عليه السلام) يستخدم الوائلي في قصيدته (فاجعة الطف) اسلوب الشكوى من الارق و غلبة السهر و اشتعال الشوق و الجوى جريا عادة القدماء ، فيقول :

هل من سبيل للرقاد النائي ليداعب الاجفان بالاغفاء
ام ان ما بين المحاجر و الكرى تره فلا يالفن غير جفاء
ارق اذا هدأ السمير تقوم بي الاشواق في لجج من البرحاء[٦٩]

و فيها يصور عزة نفسه و صلابة جأشه في حوارية مع ٠ سعاد) الرمز المشهور للمرأة عن الشعراء ليبوح فيها عما في داخله فيقول :

قالت سعاد و قد تملك ناظري مترقرق من ادمع حمراء
اني عهدتك للشجون مغاليا فمتى الفت تنفس الصعداء
فأجبتها و الموريات تحشدت تذكي اوار الحزن في احشائي
حزن ابن ليلي يستدر مدامعي و عظيم همته يثير هنائي[٧٠]

ليصف شخصية الاكبر وصفا دقيقا سابغا عليه كل كمالات الشخصية المثالية التي يجب ان يكون عليها الانسان ، معنويا و ماديا ، و ليقص علينا قصته في معركة الطف ناقلا و في صورة متحركة كل بطولاته التي سطرها في المعركة بدءا من نزوله اليها و مرورا باستشهاده الى مجيء والده الامام الحسين (عليه السلام) اليه و انتهاء بنقله الى خيام النساء اللاطمات عليه في رسم متحرك يشعر فيه القاريء انه يعيش وسط المعركة بين ابطال الحدث ، فيقول :

غيران يفتك بالألوف و عمره ما جاوز العقدين في الاحصاء
السبط يرصده و فوق جبينه للناظرين بوادر السراء
و اذا به يدعوه ادركني فقد دارت علي بجمعها اعدائي
فانقض مثل الصقر شام فريسة و جلا الصفوف و جال في الارجاء[٧١]

الى ان يقول :

لم انس اذ حملته فتية هاشم لحرائر يندبن وسط خباء
فحنت عليه الثاكلات لواطما حر الوجوه بلوعة و شجاء
لهفي لزينب اذ رأت و فراته مخضوبة بدم عن الحناء
عقد الاسى منها اللسان فاعولت لفقيدها بالدمعة الخرساء[٧٢]

فهذا مشهد متحرك رثائي مفجع ، اراد منه الوائلي شحن جميع طاقة القاريء للبكاء و الحنين .
فالوائلي صور المشهد بعاطفة صادقة و باسلوب جميل فنرى ان الوائلي استخدم كلمات تدل على الحزن و العزاء مثل (ثاكلات ، لواطم ، اللوعة ، الشجاء) .
كل هذه الكلمات تحمل ما تحمله من دلالات كبيرة على عظمة المصاب .
و الوائلي مع اهل البيت (عليهم السلام) في رثاءه – يتجه اتجاها خاصا فهو اضافة الى اسباغه كل الصفات الحسنة على اهل البيت (عليهم السلام) بقصد مقارنة بين الظالم و المظلوم ، فيرسم للمظلوم صورة و تعبر عن حقيقته نصره و انتصاره على الظالم ، و في هذا يوصل رسالة مفادها

انكم ايها القتلة في غفلة عن املاكم و ان كل حسابكم ذهبت و هما و خيالا لن الظالم لن يدوم ، فيرثي الامام الحسين (عليه السلام) رثاء يقول في مطلعه :

يوم طلعت على الزمان وليدا سيظل ملئ فم الزمان نشيدا

الى ان يقول :

فرأيتك العملاق جيدا متلعاً بنعي على الاقزام تهطع جيدا
و رأيتك النفس الكبيرة لم تكن حتى على من قاتلوك حقودا
فعلمت انك نائل كل ما تبغي حتما ، و ان يك شلوك المقدودا
و بأن من قتلوك ودوا عكس ما قد كان ، لو علموا المدى المقصودا
ظنوا بان قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيدا[٧٣]

و لا يبكي الوائلي في هذه القصيدة لانه في مقام بيان الصفات السامية للشاعر الذي هز كيان الظالمين على مدى العصور و الذي اصبح ملاذ الثائرين على مستوى الانسانية ، لا في تمام البكاء و اسبال الدموع ، لان الذي يريد ابطال صوت الحسين (عليه السلام) و اهدافه لا يبنيها للناس ببكاء و دموع ، اذ ان هذه الصورة لا تكون عاطفة محضة ليس للعقل فيها موقع قدم .

القسم الثالث : تحليل قصيدة ((في محراب العشق))

للوائلي علامة خاصة باهل البيت (عليهم السلام) يترجمها في عشقه امير المؤمنين (عليه السلام) الذي يمدحه في قصيده عنوانها (في محراب العشق) تطفح فيها كل المشاعر و الاحاسيس و نسائم الشوق لديه فيقول في بدايتها مخاطبا الامام علي (عليه السلام) :

لا تلمني ان خانني التعبير فمتى يحتوي الكبير الصغير[٧٤]

ففيها يصور الشاعر مدى الفرق الكبير بينه و بين ممدوحة فان فرق شاسع يترجمه من خلال كلماته المتناقضة مثل الكبير و الصغير ، انت مك الدهور و انا بعض ، ففي هذه الكلمات يحاول ان يضع حاجز لعدم قدرة الشاعر على وصف امير المؤمنين (عليه السلام) .

لكن يوجد هنالك تقارب فيما بينهما و ان اهم عامل يقربهما الى بعض هو العشق فيقول :

انت ملء الدهور حجما و معنى و انا بعض ما حوته الدهور

بيد اني القاك مني افق العشق كما يلتقي الفراش النور[٧٥]

فانت ترى الشاعر يوصف مدى عشقه و يشبه كعشق الفراش الى النور فهي تقصده حتى لو كان فيه هلاكها و في الحقيقة انه يقصده ليأخذ وسيلة منه نور الايمان فهم (اهل البيت) الحبل المتصل بين

الارض و السماء من خلالهم يستطيع العبد ان يرتبط مع الله سبحانه كما يقول في دعاء الندبة (اين باب الله الذي منه يؤتى اين وجه الله الذي يتوجه اليه الاولياء اين السبيل المتصل بين الارض و السماء)[٧٦] ثم يتساءل الشاعر سؤال استنكاري مع ممدوحة فيقول له انت الذي اسرتنا في العشق فلا تلومنا فمتى نجير الاسير بين القول و الرفض فيقول :

و لكل منا هنالك دور انت تهمي السنا و نحن ندور

ان تكن تأسر المشاعر قهرا ما هو العدل ان يلام الاسير

فمتى يؤخذ الاسير اختيارا و متى اختار قاهرا مقهور

ركضت خلفك القلوب و سرنا خلفها و انتهى اليك المسير [٧٧]

اما في المقطع الثاني فينادي الامام علي القابه المعروف بها و هي ابا تراب فيقول انت التراب و انا النبت فينما وقعت فلابد ان تشرب لي جذور و انبت ثم يخاطبه بان يفيقه من النوم الذي هو فيه لكي يصلي في محراب لا طالما صلت فيه العصور .

ثم برر الشاعر غيابه انا هو ليس غياب حقيقي و انما هو تخدير بسبب العشق الكبير الذي يعمله الشاعر اتجاه الامام و ان من عشق يعرف هذا الشعور فهو معذور اذا ذاب

بالهوى فيقول :

سيدي يا ابا تراب يتيه النبت فيه و تشرئب الجذور

انا فيما ينمى اليك و ماير ويه عن وجهك الرؤى مسعور

هزني انني النوم في دنـ ياك حتى يفيق مني الشعور

لتصلي مشاعري عند محراب تصلي على صداه العصور

انا ما غبت عنك يوما و لكن لمسة العشق شأنها التقدير

و بمحراب الشوق من عاش يدري ان من ذاب بالهوى معذور

ان قلبا من عشق وجهك يخلو هو ضال من الاصالة بور[٧٨]

ثم يدعو الشاعر الامام بان يجنب الصحائف التي خطت باقلام الحقد و الهوى و الزور فهي اقلام اعداء المذهب الامامي التي نالت بالسب من الامام علي (عليه السلام) و هي اقلام بنو امية و بنو العباس لكن الامام واجههم بالبر و الطيب بوصفه بالبخور عندما يمزج بلهيب النار فانهم لن يستطيعوا ان يواجهوا

الامام علي (عليه السلام) الا بالشتم و الكراهية و الحقد و ان هذا الشتم لن يصل الامام لان الفضائل عند الامام ملأت الارض فهي كالسور دون الامام فهو الذي اشادت به السماء اي ضير لو مسك وضيع الشأن الحقود :

و تجنب صحائف خطر منها قلم الحقد و الهوى و الزور

مر بالافق من رؤاك جبين بعض اوصافه السنا و العبير

الجبن الذي احاطوه شتما و لن الان بالجيوب الكثير

فحباهم برا و طيبا كما يفعل ان زج باللهيب البخور

و من الشتم للكريم جناح يرتقي فيه للعلا و يطير

فتمهل ابا تراب فدون الشتم من حولك الفضائل سور

ان اشادت بك السما و افاضت اي ضير لو سبك البعرور[٧٩]

و يصف الشاعر مكان ولادة الامام سلام الله عليه و مدى الشرف الذي ناله عندما ولد بهذا المكان الذي ضهره الله للناس :

يا وليدا كانت له الكعبة الغراء مهدا و بيتها المعمور

و لا يستطيع الوائلي السيطرة على حسراته التي انفلتت بعد ان ذكر مولد الامام ليتبعه بما واجه الامام من الحقد من انهم انكروا مهده و هي الكعبة الشريفة و انكروا قبره ايضا :

انهم انكروك مهدا و قبرا و اصطلت بالرصاص حتى القبور

ثم ولى الرصاص و المدفع الاه وج و الطيش و الحساب القصير

مضغوا بعده الهوان وصاح ال ويل في قلب بيتهم و الثبور

ثم يأخذ الشاعر الحلم و الشجاعة من ممدوحه و يطلب منه بعدم اللوم على هؤلاء لانهم اهل حقد و بغض و ضغائن و اعين الضغائن عور و لكن ستبقى انت في قلب كل انسان نقي فيكون لك في قلبه بيت و موقع و حضور :

انك الشمس ان تعامت عيون عنك او فار عندها التنور

لا تلمها فأن هذا بديه انها اعين الضغائن عور

فسيبقى كل قلب نقي لك بيت و موقع و حضور[٨٠]

و بعد ذلك يتفرغ ليصف ابطال الثورة في لبنان بانهم دافعوا من اجل الارض ضد الاحتلال الاسرائيلي فارض الوطن تتصف كل غالي و نفيس فيقول :

ان تعرب الاوطان في الذود عنه يرخص المال و الدم المهدور

فينطلق الشاعر بعد ذلك ليوصف لنا ابطال الثورة في جنوب لبنان اللذين بذلوا مهجهم في سبيل الدفاع عن الوطن فيوصف شجاعتهم كأنها شجاعة علي (عليه السلام) في يوم بدر و احد و حاول الشاعر باسلوب جميل ان يربط بين مظلومية الامام علي (عليه السلام) و مظلومية شيعته اليوم فيقول :

و هنا و الجنوب يأسر رهط منك غر ناداهم التحرير

فتداعوا لثورة الحق لما ضلموا الذليل من لا يثور

عانقوها شهادة في سبيل الله يا شباب صفوها تكدير

و استعاضوا عن الشباب بعقبى عند رب نعيمها موفور

و دعاهم رعيل بدر و احد فتلاقى مع النفير النفير

الف مرحى للبنان هذا هو الفتح و هذا سبيله المنصور[٨١]

اما في المقطع الخامس من القصيدة فيحاول الشاعر و باسلوب جميل ان شباب الثورة ليس هم من بادروا بل مناطق جنوب لبنان هي التي ندبتهم فلبوا النداء فكان ارضا قد ظمئت و جاءوا لكي يسقوها بدمائهم فيقول :

و ربوات الجنوب يا ام جزين وقانا سقاك غيث غزير

ظمئ المجد فاستجاب نجيع بنفسي ذاك النجيع الطهور

عب منه التفاح في زهوه الاقليم و استلهمته صيدا و صور[٨٢]

الخاتمة

وحسبي ان الجواهري لم يترك لنا خيار ا في محرقته إلا الاعتراف بأنه بفحل من فحول الزمن الشعري العربي الخالد.

ان عملية التفكير عند الجواهري تحقق من خلال الممارسة اليومية للنضال الثوري وتستمد صورتها من وضعه النفسي للحظة المعاناة وبهذا تظل افكاره على ثرائها خاضعة لمهامه الاولية كمناضل وشاعر.
وفي مسك الختام اقف عاجزا عن قراءة تلك القصيدة الرائعة التي اراها معادلة شعرية وجدلية مبدعة امامها يقف الدارسون حيارى فكما ابتدأت انتهيت مع تلك القصيدتين الرائعتين اللتين تمثلان الجواهري طوال نصف قرن بينهما ولكنه بقي في الاولى والثانية شاعرا عملاقا وفحلا لا يطال بناه شاعر قادم ...ولعلي بذرت بذرة خصبة في بستان الجواهري الكبير اسال الله العون والتوفيق والنجاح.

و ان من اهم النتائج التي توصلنا اليها ان رثاء اهل البيت (عليهم السلام) هو اقل من رثاء الاصدقاء والعلماء بالنسبة الى قصائد الرثاء عند الشيخ الوائلي (رحمه الله) .
و ابراز حياة الشيخ الوائلي في هذه الصفحات البسيطة التي لا تدل على شيء بالنسبة الى هذا العلامة الكبير و الشاعر و المفكر الذي سخر حياته في خدمة المنبر الحسيني و اعلاء كلمة الحق .
اما بالنسبة الى ما توصل اليه الباحث للقصائد التي اختصت في رثاء اهل البيت (ع) فكانت على وجهتين :
الوجه الاول : تكون القصيدة عبارة عن مشهد متحرك رثائي مفجع ، اراد منه الشاعر شحن جميع طاقاته القارئ للبكاء و النحيب فنجد الشاعر يصور المشهد بعاطفة صادقة و باسلوب جميل .
الوجه الثاني : فلا يبكي الشاعر في القصيدة لانه في مقام بيان الصفات السامية للمرثي
اما رثاء العلماء و الاصدقاء فنرى ان الوائلي بارع في رسم الصور الحزينة و يفاجئنا برسم الصور المهولة و المخيفة التي يصف فيها وقوفه على قبور احبته و اصدقائه و ديارهم بعد رحيلهم التي اصبحت مقفرة الا من النواح و العويل .
و نلاحظ ان في رثاء الوائلي لأصدقائه و علماء الدين تساؤل غريب من نوعه لم نالفه عند الشعراء القدامى و المحدثين .

المصادر و المراجع للشاعر محمد مهدي الجواهري

١. ابحاث في قراءة النص- د. علي كاظم اسد- مكتب الضياء- النجف الاشرف ٢٠٠٠م.
٢. الاسلوبية والاسلوب- د. عبد السلام المسدي ،ليبيا ١٩٧٥.
٣. البيان والتبيين- الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج٢.
٤. تحليل الخطاب الشعري- د. محمدمفتاح، الدارالبيضاء.
٥. تطور الشعر العربي الحديث في العراق- د. علي عباس علوان. منشورات وزارة الاعلام ١٩٧٥.
٦. جدلية ابي تمام- د. عبد الكريم اليافي- دار الحرية بغداد،الموسوعة٦٦.
٧. ديوان ابي تمام ٢٣١هـ.شرح الخطيب التبريزي-ج١- ج٤ تحقيق محمد عبدة عزام- دار المعرفة مصر ٦٥م.
٨. ديوان الجواهري- جمعة د. إبراهيم السامرائي و د. علي جواد الطاهر ج٢ مطبعة الاديب ١٩٧٣.
٩. ديوان الجواهري طبعة وزارة الاعلامج٣بغداد١٩٧٣.
١٠. الشعر والزمند. جلال الخياط وزارة الاعلام ١٩٧٥.
١١. الشعر وشعراء ابن قتيبة الدينوري تحقيق احمد محمد شاكر دار المعارف القاهرة ١٩٥٨.
١٢. محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية فريق من الكتاب اشراف هادي العلوي مطبعة النعمان، النجف ١٩٦٩.
١٣. المعاول دراسات نقدية في الشعر العراقي – عامر رشيد السامرائي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٧.
١٤. كتاب المنزلات- طراد الكبيسي الكتاب الثالث- منزلة القراءة- دار الشؤون الثقافية- بغداد ١٩٧٠.
١٥. الكلاسيكية في الادب والفنون د. ماهر حسن فهمي و د. كمال فريد الانجلو المصرية د.ت.
١٦. من الغربة حتى وعي الغربة- فوزي كريم دار الحرية. بغداد ١٩٧٢م.
١٧. موسيقى الشعر في المنظور النفسي د. إبراهيم انيس ط٤.القاهرة ١٩٧٢.
١٨. نقد الشعر في المنظور النفسي د. ريكان ابراهيم دار شؤون بغداد م ١٩٨٩
١٩. الوائلي تراث خالد ،سليم الجبوري ، دار المحبة البيضاء ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، بيروت – لبنان .
٢٠. الرثاء سلسلة فنون الادب العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٤ .

الرسائل الجامعية

١- الرثاء في العصر العباسي الاول ، مظفر عبد الستار غانم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة البصرة .
٢- الغربة و الحنين في الشعر العربي قبل الاسلام ، صاحب خليل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ١٩٨٨م .

الدوريات:

١- مجلة المستقبل العدد١٤-٢٠٠٣م.
٢- مجلة ثقافة العدد ٦- ١٩٧٧م.
٣- جريدة العراق/العدد٣٥٥٥-٩/كانون الاول/١٩٩٣م.

المصادر و المراجع الشيخ الدكتور احمد الوائلي

١- امير المنابر ، صادق جعفر الروازق ، شريعة ناظرين ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ايران – قم المقدسة .
٢- امير المنبر الحسيني الدكتور الشيخ احمد الوائلي ، محمد سعيد الطريحي ، ط١ ، مطبعة سرور ، ايران – قم المقدسة .
٣- أدب الطف/أو شعراء الحسين/جواد شبر//منشورات الاعلمي/بيروت ١٩٨٠
٤- خطباء المنبر الحسيني/حيدر المرجاني/مطبعة القضاء /النجف ١٩٧٦
٥- الشيخ احمد الوائلي حياة و فصول خدمة ال الرسول ، رشيد القسام ، ط٢ ، مطبعة النبراس ، النجف الاشرف .
٦- المعجم الوسيط ، ابراهيم مصطفى ، حسن احمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمود علي النجار .
٧- ديوان الوائلي ، الشيخ احمد الوائلي ، مؤسسة البلاغ ، دار سلوني ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
٨- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٦ .
٩- مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الرضوان ، ٢٠٠٦م .
١٠-مجلة الموسم العدد (٢-٣) سنة ١٩٨٩م ملف عن الدكتور الشيخ احمد الوائلي .
١١-موقع الشيخ احمد الوائلي (الانترنت) ، السيرة الذاتية .
١٢-مفاتيح الجنان ، عباس القمي ، دار البحار ، بغداد ، شارع المتنبي ، ط١ ، ٢٠١٠م
١٣--إضاءة النص/اعتدال عثمان/دار الحداثة /بيروت/لبنان،د.ت
١٤--ديوان الشيخ احمد الوائلي/الناشر السيد ميثم الخرساني/النجف/د.ت
١٥--ديوان بحر العلوم/مطبعة التضامن/بغداد١٩٦٩
١٦--ديوان الجواهري/ت-إبراهيم السامرائي/مطبعة الاديب/وزارة الاعلام١٩٧٤
١٧-ديوان الحويزي/في مدائح أهل البيت/جمعه حميد مجيد/مطابع النعمان/النجف١٩٦٥
١٨-ديوان صالح الجعفري/جمعه الدكتور المرحوم جواد علي الطاهر/دار الحرية للطباعة/بغداد١٩٨٥
١٩-ديوان الفرطوسي/مطبعة الغري/النجف/١٩٦٦
٢٠-ديوان السيد رضا الموسوي الهندي/جمعه الدكتور السيد موسى الموسوي/مطبوعات ايران
٢١-رياض المدح والرثاء/في مدح ورثاء النبي وآل بيته الأطهار/الشيخ حسين علي البحراني/قم ١٤٢٤ه
٢٢-شعراء الغري او النجفيات/علي الخاقاني/المطبعة الحيدرية/النجف/١٩٥٤/
٢٣-لسان العرب المحيط/ابن منظور/دار لسان العرب /بيروت١٣٨٩ه
٢٤-معجم شعراء الحسين(ع)الشيخ جعفر الهلالي/مؤسسة ام القرى/بيروت١٤٢١ه
٢٥-نقد الشعر في المنظور النفسي/د.ريكان إبراهيم/دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٩
٢٦-الشريط الصوتي الخاص لحياة الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) .